



تأملات في سورة الإنسان

خطب المناسبات

تدبر القرآن الكريم

2023-01-30

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

أيها الإخوة الأحباب؛ لقاءنا اليوم على مائدة القرآن وكل اللقاءات على مائدة الرحمن و مائدة القرآن، وهذا اللقاء موضوعه سورة قرآنية كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأها فجر الجمعة هي وسورة السجدة، هذه السورة هي سورة الإنسان، وقد ثبت في الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقرأ فجر الجمعة بسورة السجدة وسورة الإنسان، والقاسم المشترك بين هاتين السورتين أن كلا منهما ذكرت المبدأ والمصير؛ بداية الخلق ومصير الإنسان وما عند الله تعالى من ثواب وعقاب، وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يريد أن يذكر أصحابه كل جمعة بمبدأ خلقهم ومرجعهم إلى ربهم -جل جلاله-.

الموضوع الرئيسي لسورة الإنسان:



لا بد أن يسأل الإنسان نفسه دائماً

سورة الإنسان من السور المدنية التي نزلت بعد الهجرة، وموضوعها الرئيسي كما قلنا: تذكير الإنسان بأصل خلقه ومصيره؛ لأن الإنسان إذا عرف من أين، وإلى أين نجا وأفلح، أما الذي يجهل تاريخه أو يجهل مستقبله، اليوم في حياته اليومية يقول للناس: ينبغي أن نقرأ التاريخ، نعرف من أجدادك، من أجدادك؟ من أنت؟ ما القيم التي نشأت عليها؟ التاريخ، ثم ينبغي أن تستشرف المستقبل هذا ضمن النطاق الضيق، ضمن النطاق الواسع الإنسان له مبدأ وله ختام في الحياة الدنيا، فهذه الرحلة لا بد أن يسأل دائماً نفسه من أين جئت؟ وإلى أين المصير؟ وإلا أصبح كحالة هؤلاء الذين يسمون أنفسهم اليوم (اللاأدرين)؛ يعني الذين لا يدرون، ومنهم ذاك الشاعر الذي يقول:

لست أدري، كل كلمتين يقول لك: لست أدري، أما المؤمن فيدري، يدري من أين جاء، وإلى أين مصيره، وبناء على ذلك تستقيم حياته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنْ لَّدَهٗٓٔ لَّمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١



نعمة الإيجاد من أعظم نعم الله تعالى

نعم أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، الآن لو قلت: "1920"، قلنا لم نكن شيئاً مذكوراً 1920، ما كان هناك أحد كلنا، والآن إذا قلت: "2900"، قلنا لن نكون شيئاً مذكوراً، هذا حال الدنيا جيل يعقب جيلاً، أحياناً الإنسان يفتح كتاباً يتصفحه؛ كتاب قديم من مكتبته فيفتح الصفحة الأولى فيقول: طبع في مطبعة بولاق مصر عام 1930، هو مواليد 1940 عندما كانت حروف هذا الكتاب تنصد أين كنت أنا؟ لم أكن شيئاً مذكوراً، فالإنسان في لحظة معينة كان لا شيء-لا شيء يذكر-لا يذكره أحد، لا يقال: فلان بن فلان، ولا معه الشهادة الفلانية ولا مركزه الفلاني، فيعلم الإنسان أنه كان لا شيئاً وأصبح شيئاً، وهذه من أعظم نعم الله تعالى عليه؛ **نعمة الإيجاد** وهي أول النعم أنه -جلّ جلاله- أوجدك من العدم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا ۖ فِئْتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا ۖ فِتْنَيْنِ ۖ عَمَّارَتَا ۖ يَذُوبَتَا ۖ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ (11)

(سورة غافر)

الموت الأول هو موت العدم (**أَمَّنَّا ۖ فِئْتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا ۖ فِتْنَيْنِ**) موت العدم والموت الثاني، (**وَأَخْيَتْنَا ۖ فِتْنَيْنِ**) الحياة الدنيا والحياة الآخرة بعد الموت -البعث-، فكنا أو لم نكن في وقت ما شيئاً مذكوراً، كان الله ولم يكن معه شيء -جلّ جلاله- فهنا يذكرنا الله تعالى بأعظم نعمه علينا وهي **نعمة الإيجاد (لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا)** ثم يقول المولى -جلّ جلاله-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ تُطَلْقٍ أَمْسَاجٍ تَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَوِيغًا بَصِيرًا ۝٢

هذه **نعمة الإيجاد**، النبي -صلى الله عليه وسلم- لما سُئل: من أي ماء يكون الرجل؟ قال: من كليهما، من ماء الرجل ومن ماء المرأة، وهذه الآية تذكر ذلك وهو ما يؤكد اليوم العلم الحديث، وطبعاً لا نقول: إن العلم جاء مطابقاً لقرآننا، وإن القرآن جاء مطابقاً لعلما هي القضية ببساطة أن هذا القرآن هو كلام الخالق -جلّ جلاله-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا سَتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِنْهُ خَيْرٌ (14)

(سورة فاطر)

فلو جدلاً قال العلم مثلاً وهو لا يقول ذلك: بأن الإنسان يُخلق فقط من ماء الرجل أو من ماء المرأة لقلنا هذا الكلام غير صحيح؛ لأن القرآن يخبرنا أن النطفة أمشاج، أمشاج يعني خليط من ماء الرجل ومن ماء المرأة فيتم التلقيح وتكون البويضة الملقحة التي ينشأ منها الإنسان (مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ).
(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) هذه نعمة الإيجاد (مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ تَبْتَلِيهِ) ما فائدة أن يعرف الإنسان أصل خلقه؟ فائدة ذلك أن يتواضع، لما تقول لنفسك أنا لم أكن شيئاً مذكوراً قبل 50 عاماً من الآن أو 60 أو 70 فلماذا نمشي في الأرض وتتكبر فيها أو نفتخر فيها على عباد الله، كلنا لم نكن يوماً شيئاً مذكوراً.

نعمة الإمداد:



الإنسان مبتلى وممتحن في كل لحظة

(إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ تَبْتَلِيهِ) يعني أصل هذا الخلق أو علة هذا الخلق هي تحقيق الابتلاء يعني الامتحان، نبتليه أي نمتحنه بالتكاليف والأوامر والنواهي، نمتحنه بالمرض أو بالصحة، بالقوة أو بالضعف، بالمال أو بنقص المال، الإنسان مبتلى ممتحن في كل لحظة، ليس هناك يوم يمر على الإنسان لا يبتلى فيه أبداً، لا تشرق شمس على الإنسان إلا وهو مبتلى، ينزل إلى الشارع تعرض له امرأة ابتلى بها، يذهب إلى العمل يأتيه مبلغ من حرام يبتلى به، نقص في الأموال يبتلى، يأتيه مال كثير يبتلى به هل ينفقه في الطاعات أم في المعاصي؟ يعود من عمله يبتلى بأهل بيته، يمتحن بهم ويبتلى ليس مفهوماً سلبياً هل يعني الله ببلية بهم؟ لا؛ هذا مفهوم عامي يبتلى بهم هل يحسن لزوجته أم يسيء لها؟ هل يربي أولاده أم يدعهم وشأنهم؟ هل يوجههم أم لا يوجههم، يبتلى الإنسان، فقال: (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ تَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) أعطاه الله السمع وأعطاه البصر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (78)

(سورة النحل)

الآن هذه نعمة أخرى؛ هذه نعمة الإمداد، النعمة الأولى الإيجاد، السمع والبصر إمداد، في كل لحظة نحن مفتقرون إلى إمداد الله تعالى لنسمع ولنبر وأكل ولنشرب هذه كلها نعمة الإمداد، الآن هذه السورة بدأت بالنعم الأساسية على الإنسان النعمة الأولى: الإيجاد (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) لم يكن شيئاً مذكوراً وخلقناه، الثانية: الإمداد بدأت من قوله تعالى: (فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) السمع والبصر قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)

(سورة الإسراء)

السمع والبصر مداخل الفؤاد (input)، كيف الإنسان تدخل المعلومات إليه؟ أهم مدخلين السمع والبصر، الآن الذي يجري في هذا اللقاء الطيب بمعيتكم هو سمع، يعني الآن المعلومات تدخل عن طريق السمع، والبصر تدخل معلومات يعني لو نظر الإنسان إلى الشجرة: سبحان الخالق العظيم من خلقها؟ فالبصر تدخل والسمع تدخل، أعظم ما يدخل المعلومات إلى القلب ليعقلها القلب ويخرج بنتائج صحيحة السمع والبصر، العملية بالقلب مركز العمليات القلب الذي هو العقل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْلَمَ يَسْبِرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الْصُّدُورِ (46)

(سورة الحج)

القلوب تعقل فتعقل المعلومة فتخرج بنتائج صحيحة، أحياناً يعقل المعلومة غلط، أو تكون المدخلات خطأ فتخرج المخرجات خاطئة، فتجد إنساناً ملحداً، كيف ملحد وراء كل هذه الآيات؟ إما مصالح وشهوات، إما حالة من عدم القدرة على الاستيعاب، غالب من يلحدون أو لا يؤمنون بوجود الله بعد المدخلات كاملة يكون شهوة المصالح غشوة المصالح أو الرغبة في التفتل من كل القيود التي لا يناسبها أن يكون هناك دين يحجز الإنسان عن المحارم، تؤمن بوجود الله يجب أن تؤمن بمنهج، المنهج افعل ولا تفعل، فالأريج للإنسان الأسلم له في زعمه حتى يرتاح نفسياً أن يقول: لا يوجد إله إذاً افعل ما شئت، انتهى لا يوجد مبعث ولا يوجد يوم قيامة، فالمدخلات من السمع والبصر لذلك امتن على عباده **(فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) .**

نعمة الهداية:

الآن النعمة الثالثة من نعم الله تعالى على عباده:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)



الهدى والرشاد أي شيء يقودك إلى الله

نعمة الهداية، فهي ثلاث نعم الإيجاد، نعمة الإمداد، نعمة الهدى والرشاد، هذه النعم هي أساس النعم، كل نعمة من النعم الدنيا تتصل بوحدة من هذه الثلاث -أمهات-، قلت: الطعام والشراب إمداد، الأم إمداد، الأب إمداد، الأولاد إمداد؛ هذا كله إمداد من الله، الإيجاد واضحة، الهدى والرشاد أي شيء يقودك إلى الله من هدى ورشاد، الشجرة هدى ورشاد، والقمر هدى ورشاد، والدليل النبي -صلى الله عليه وسلم- كان ينظر إلى القمر فيقول: "هلال خير ورشد"

خير خبر علينا -إن شاء الله - يهل علينا بالإيمان، رشد يرشدنا إلى ربنا، فكل نعم الله هي تندرج ضمن ثلاث: إيجاد، إمداد، هدى ورشاد، ذكرها الله تعالى في مطلع هذه السورة، هذه الآية **(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)** تؤكد أن الإنسان مخير، أي كلام آخر بأن الإنسان مجبر فالقائل ذلك يخالف نص القرآن الكريم لأنه يأتي بآيات يتوهم منها الجبر ويترك الآيات الواضحة في التخيير **(إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ)** دللناه على الطريق **(إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا)** أعطاك الطريق، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَائِهِمْ
فُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا تَتَّبِعُونَ إِلَّا لَطَنَ وَإِنْ أَشْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)

(سورة الأنعام)

في نهاية الآية (هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَوْلَا أَن تَتَّبِعُونَ إِلَّا لَطَنَ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) يعني هذا كذب أن يقول الإنسان: "لو شاء الله ما أشرك" إن يلقي بشركه أو بمعصيته على خالقه ليبرئ نفسه من المسؤولية، الإنسان مخير ولأنه مسؤول فهو مخير، ولأن الله أمره ونهاه في قرآنه فهو مخير، إذ كيف يأمر الله إنساناً لا يستطيع أن يتخذ قراره، لماذا يأمره؟! الأمر والنهي أصبح عبثاً، لو إنسان يقود سيارته وإنسان جالس أمامه المقود ليس بيده، رجل جالس في الخلف ربت على كتف اليمين الرجل الذي لا يملك المقود، وقال له: اذهب على المفرق على اليمين، ماذا يقول له؟ يقول: أنا ما عندي مقود، ينبغي أن تحدث من يملك الخيار، فلما نقرأ في القرآن آيات كثيرة افعل ولا تفعل، اجتنبوا، آمنوا، وأنا لا أملك الخيار إذا أصبح -حاشاه تعالى- أصبح القرآن عبثاً، الكلام لا أستطيع أن أنفذه فلماذا أرسل؟ وإرسال الرسل أصبح عبثاً؛ لأن الإنسان لا يملك قراره، الإنسان مخير يستطيع أن يذهب في الطريق الذي يشاء (إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرْنَا وَإِنَّمَا كَفَرْنَا).

ودائماً في القرآن أو كثيراً في القرآن ما يتقابل الكفر مع الشكر يتضادان، الكفر والإيمان واضحة أما الكفر مع الشكر وكأن الإيمان هو شكر إقرار بأن هذه النعمة من الله، فلما كان الحديث في البداية عن نعم الله الثلاثة ناسب أن يقول: (إِنَّمَا شَاكَرْنَا) أي على هذه النعم التي أسلفتها لكم وهي الإيجاد والإمداد والهدى والرشاد أو كفوراً بهذه النعم، يكفر بها ولا يلقي لها بالاً بأن الله أوجده من عدم، وأمده بالسمع والبصر، وهداه السبيل فيكفر نعمة الله عليه، فلذلك (إِنَّمَا شَاكَرْنَا وَإِنَّمَا كَفَرْنَا) ولم يقل: إما مؤمناً وإما كفوراً؛ لأن الحديث عن النعم والنعم تقتضي الشكر.

نهاية الرحلة وتحديد المصير:

هذه النعم وأصل الخلق، الآن المصير مباشرة، الرحلة قصيرة جداً انتهت الرحلة مجرد ما ربنا ذكر لك هاتين الآيتين وكأن الرحلة قد انتهت تفاصيلها أنت ترسمها، أنا أعطيتك السبيل تشكر أو تكفر انتهيها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلِيلًا وَأَعْلًا وَسَعِيرًا (4)



القلم بيدك أنت ارسم حياتك كما تريد انتهى وصلنا للمصير مباشرة، الرحلة هذه أنت ترسمها (إِنَّمَا شَاكَرْنَا وَإِنَّمَا كَفَرْنَا) القلم بيدك أنت ارسم حياتك كما تريد وفق الذي تريده لكن أنا أعطيتك النتائج فقط، كأن يدخل المدرّس إلى الصف ويقول للطلاب: المدرسة ستقدم لكم 1- 2- 3 ، أعطيتك النعم التي ستقدمها نحن لك، ثم أقول له: أنت بالخيار بين أن تدرس أو لا تدرس، فإذا جاء آخر العام فالناجح له كذا وكذا والراسب له كذا وكذا، الرحلة لك أنت لذلك هنا لم يذكر تفاصيل الرحلة، مباشرة (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلِيلًا) يقادون بها إلى جهنم، وأغلاً يغلون بها، وناراً مشتعلة وسعيراً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5)

الطرف المقابل (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) بدأت نعم الله تتصل؛ نعم الآخرة بنعم الدنيا للمؤمنين، الكافور رائحة طيبة يعرفها العرب، لكن كافور الجنة ليس ككافور الدنيا، ما هذه الكأس ما هي؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَبَثًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6)

العين يُشرب منها لا بها لكن لما قال: "بها" ضمّن الشرب معنى آخر وهو الارتواء، فكأنه قال: عيناً يرتوي بها، يعني يشربون بها حتى يرتوا، (يشرب بها) هذه مبالغة هو الأصل أنك تشرب من الكأس ولا تشرب بها لكن لما قال: (تشرب بها) ضمّن الشرب معنى الارتواء، ترتوي بها للشدة عذوبتها وشدة ريحها الطيب وطعمها الطيب (عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يعني يجرونها إلى حيث يشاؤون.

الوفاء بالنذر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُؤْفُونَ بِالَّذِي نَذَرُوا وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7)

عدنا إلى الدنيا، الوفاء بالنذر لا يُطَن أنه هو مجرد النذر الذي يندره الإنسان على نفسه في الدنيا فيقول مثلاً: نذراً عليّ أن أذبح خروفاً، وبالمناسبة والشئ بالشئ يذكر مادام ذكر النذر، فائدة فقهية وهي أن النذر المشروط مكروه شرعاً، فقد نهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال:

{ لَا تَذَرُوا، فَإِنَّ الذَّرَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَحْلِ }

(صحيح مسلم عن أبي هريرة)



النذر المشروط مكروه شرعاً

يعني أن يقول إنسان: إن نجحت فلله عليّ أن أذبح خروفاً، أو أن أتصدق بصدقة، لا: أنت تصدق وأذبح وقل: يا رب ارزقني النجاح، إذا تزوجت نذراً لله عليّ أن أتصدق بـ 100 دينار، لا: الآن تصدق بـ 100 دينار على نية أن ييسر الله لك الزواج، الله لا يشارط يا أحبابنا، لا تنذر شيئاً بمقابل شيء، النذر مكروه لكن لو نذر إنسان فالوفاء بالنذر واجب، فإن عجز عن الوفاء -وهذا يأتي سؤال كل يوم لذلك عرجت عليه، "والله يا شيخنا نذرت صيام شهرين إذا جاء ابني سليماً والله رزقنا ولداً سليماً معافى، ماذا أفعل؟" صومي شهرين، "والله لا أستطيع يا شيخ" الإنسان هكذا يتشجع يقول: يا رب أريد أن أصوم، بدأت أول يوم ثاني يوم شهران متتابعان والله صعبان، حسناً كفارة النذر كفارة اليمين يعني من لم يستطع الوفاء بنذره إما أن يطعم عشرة مساكين فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام، قريناً -جلّ جلاله- من رحمته جعل لكل شيء مخرجاً لكن الإنسان لا يكلف نفسه بالنذر المشروط، أما النذر المطلق لا مانع منه، كأن يقول إنسان: "لله عليّ أن أصوم ثلاثة أيام"، هكذا ينذر على نفسه وإن كان الأولى للإنسان ألا ينذر أبداً، يبقى على فعل الطاعات دون أن يكلف نفسه شيئاً لم يكلفه الله تعالى به، (يُؤْفُونَ بِالَّذِي نَذَرُوا) هنا ليس النذر فقط هذا الذي نذر على نفسه شيئاً، النذر هو كل ما أوجبه الله تعالى عليك من تكاليف فهو عهد الله بينك وبينه، الصلاة نذر يجب أن تفي بها، طاعة الله نذر، غض البصر نذر، كل ما أوجبه الله تعالى عليك فهو يشبه النذر من زاوية أنه يجب الوفاء به، فحق الله أولى أن يؤدي (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) أي منتشر لا يقف عند حد.

إطعام الطعام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيُطْعَمُونَ لِمَطْعَمٍ عَلَى حُبٍّ مِسْكِينًا وَتَيْمَنًا وَأَسِيرًا (8)



المؤمن يحب الطعام ويطعمه للآخرين.

أي على حب الطعام، الإنسان يحب الطعام لكنه يؤثر به غيره من أجل ربه، وقد يقال **(وَيُطْعِمُونَ لِلطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ)** أي على حب ربهم -جلّ جلاله- يعني على حب الله محبةً لله يطعم الطعام، ورغم محبته للطعام فهو يطعمه لأن الإنسان -أحبائنا الكرام- لا يرقى عند الله إلا إذا أنفق مما يحب، يعني لو كان الإنسان لا يحب المال الناس لا يحبون المال أبداً ثم قيل لهم: أنفقوا، أنفقوا لكن لم يرتقوا عند ربههم بالإنفاق، لماذا يرتقي؟ لأنه يحب المال وأنفقه، يحب الطعام ويطعمه للآخرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (9)

(سورة الحشر)

أي شدة حاجة وفقر **(وَيُطْعِمُونَ لِلطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَتَيْمَنًا وَأَسِيرًا)** وهذه الآية نصّ في أن الصدقات تجوز لغير المسلمين بخلاف الزكاة، الأسير غير مسلم ومن حسن معاملة المسلمين للأسرى أن الله تعالى ذكر هنا الأسير أنه يُطعم الطعام، يأتي بالطعام ويقدمه لأسير أخذ في الحرب كان قبل أيام يقاتله في أرض المعركة لكن يحسن معاملته هكذا يُعامل الأسرى، فالصدقات الأمر فيها واسع، تتصدق ولو على غير المسلم أما الزكاة فهذه فريضة إسلامية تكافلية ضمن المجتمع المسلم، فهذا تؤخذ من أغنيائهم المسلمين وترد على فقرائهم المسلمين، فالصدقة الأمر فيها واسع، الزكاة مقنن ضمن البيت المسلم **(وَيُطْعِمُونَ لِلطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَتَيْمَنًا وَأَسِيرًا)**

الإخلاص والجزاء من الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لِرُوحِهِ ۖ لِلَّهِ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)

هو الحقيقة كنت أريد أن أصل إلى هنا وهذا الذي أريد أن أذكره، لكن- سبحانه الله- القرآن بحر فإذا بدأت بآية ما تجد إلا أن تتكلم تخرج المعاني- سبحانه الله-.



المؤمن يقدمه لوجه الله لما ينتظره عند الله

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) هنا عقدة الموضوع أو لب القصة أو محور القضية التي أوردت هؤلاء الجنة وجعلتهم من الأبرار (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) إخلاص (لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا) وضعوا خطين تحت كلمة (منكم) هم ما قالوا: "لا نريد جزاء ولا شكوراً"، فما من أحد يقدم شيئاً دون مقابل -لا تستغربوا-، ما من أحد يقدم دون مقابل، ولولا ذلك لما أغرانا الله تعالى بالمقابل الذي أعده لنا، الإنسان مفطور على حب التملك، هذا شيء لي لماذا أعطيه للآخرين؟! لكن المؤمن يقدمه لوجه الله لما ينتظره عند الله، والذي يحب الأخذ البعيد يريد أن يأخذ الجزاء فوراً فقط، أحدهم يقدم لجزء مؤجل والآخر يقدم لجزء معجل لكن الكل يريد جزاء على أفعاله، تقول لي: فلان لا يريد شيئاً، لا يريد شيئاً ولكن لا يريد شيئاً منك، لا يريد أن يسمع كلمة شكر منك، لا يريد أن يسمع جزاء منك لكن يريد من غيرك من الله -جلّ جلاله- فقال: (لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا).

الجزء مقابل، يعني أنا أطعمتك طعاماً وبقي الصحن عندك، أنتظر هكذا طبخة مرتبة تبعثه ترجعه لي معبأ ليس فارغاً، والشكور كلمة لا أستطيع أن أرد لكن علي الأقل: جزاك الله خيراً، طبعاً هذا موقف الذي يطعم أنه لا يريد جزاء ولا شكوراً، أما موقف الذي يُطعم أنه إذا كان قادراً على الجزاء فينبغي أن يجازي وإلا فليقل: جزاك الله خيراً، يعني من الطرفين الموضوع لكن الآن نحن نحكي عن الطرف الذي استحق الجنة، هذا بالأصل عندما قدم لا يريد جزاء ولا شكوراً من الناس، يريدها من رب الناس (لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا).

قالوا: انتبنا انفسهما فوراً؛ إحسانك إلى الناس وإساءة الناس إليك، بعض الناس يتذكر إحسانه إلى الآخرين ولا ينسى إساءة الآخرين إليه، لا؛ إذا أحسنت فانسَ وإذا أسىء لك يعني إساءة لا تستوجب رداً عقوبة فأبصا أنسن الموضوع، تناسى.

الصبر في الدنيا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَنُوبًا قُمْطَرِيرًا (10)

يوم لشدة هوله وفطاعته ووجه المنحرفين والكافرين شدة سواد، كالحة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (40) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (41)

(سورة عبس)

في هذا اليوم، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَوَقَّعْنَاهُمْ لِلَّهِ شِرًّا ذَلِكَ لِيَوْمٍ وَلَقَّيْنَاهُمْ نَصْرَهُ وَشُرُورًا (11)

الآن هم لما لم يطلبوا الجزاء والشكور، انظر إلى الجزاء الذي عند الله والشكور الذي عند الله، قال: (وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَشُرُورًا) الوجه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجَزَلْنَهُمْ يَمَّا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا (12)

أي بسبب صبرهم، أي صبر؟ صبر على الجزاء انتظروا الآجل وتركوا العاجل، قبل هذه السورة وهذا دائماً في تواصل بين السور القرآنية، قبلها ماذا قال تعالى قبل بداية سورة الإنسان كانت سورة القيامة، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا بَلْ تُجِبُّونَ لِعَاجِلَةٍ (20) وَتَذَرُونَ آخِرَةَ (21)

(سورة القيامة)

طبيعة الإنسان يريد العاجل ويذر الآجل، هنا ما الذي أوردتهم الجنة؟ أوصلهم إلى الجنة، طمحوها إلى الآجل وتركوا العاجل فقال: (وَجَزَلْنَهُمْ يَمَّا صَبَرُوا) الصبر هو أن تترك الشيء الآتي وتنظر إلى الشيء المستقبلي هذا الصبر، هي الجنة تحتاج صبراً فقط (يَمَّا صَبَرُوا) أي بسبب صبرهم، هذه باء السبب (وَجَزَلْنَهُمْ يَمَّا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَرِيرًا).

جزاء الصابرين في الآخرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (13)

الأريكة يعني الأسرة المزخرفة العظيمة المنظر (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) لا حرارة ولا برودة ظل طليل، الزمهرير شدة البرد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَدَانِيَةً عَنْهُمْ تُلَفُّهُمُ ظُلُّهَا وَذُكِّلَتْ فُطُوفُهَا تَذِيلًا (14)

قريبة جداً، الظل الغريب رائع (وَذُكِّلَتْ فُطُوفُهَا تَذِيلًا) في الدنيا إذا وجدت التفاحة بأعلى الشجرة تقول: والله اشتبهت هذه التفاحة لكن كيف الوصول إليها؟ تهر الشجرة تسقط كل التفاحات الصغيرة والتي تحتاجها لا تسقط لك، تضع سلماً مربك، لا تعرف كيف تصعد؟ وأما (وَذُكِّلَتْ فُطُوفُهَا تَذِيلًا) أمامه وهو جالس يأخذها، مذلة له قريبة منه، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآيَاتِهِ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا (15) قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (16) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (17)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَيْنًا فِيهَا نُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (18) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُّحَلَّلُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنُونًا (19)

يعني بعمر الشباب ما هرموا، بعمر الشباب الجميل أجمل أيام العمر (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنُونًا)
لجمالهم كأنهم اللؤلؤ المنتور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (20) عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعٌ أَصَاوِرَ مِنْ فِصَّةٍ وَسَقْلَهُمُ رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا (21)

الآن موطن الشاهد، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (22)

ماذا قالوا؟ (لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا)، هل تركهم الله بغير جزاء أو شكور؟ أعطاهم كل هذا، قال: (إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا) الجزاء والشكور عند الله تعالى، الذي يطلب من العبد -سامحوني- يكون أحمقاً، الذي ينتظر على أعماله الصالحة، أنا أنكلم عن العمل الصالح ليس عن العمل التجاري، طبعاً العمل التجاري الله جعل بعضنا لبعض سُخْرِيًّا، الله سخر الحلاق، كيف سُخْرِيًّا؟ تأتي الملك بحاجة حلاق يخلق له شعره.